

تفسير البحر المحيط

@ 247 @ .

ولما حذر تعالى من الطغيان فيما رزق وحذر من حلول غضبه فتح باب الرجاء للتائبين وأتى بصيغة المبالغة وهي قوله { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ } قال ابن عباس من الشرك { وَآمَنَ } أي وحدان { وَعَمِلَ صَالِحًا } أدى الفرائض { ثُمَّ اهْتَدَى } لزم الهداية وأدامها إلى الموافاة على الإسلام . وقيل : معناه لم يشك في إيمانه . وقيل : ثم استقام . قال ابن عطية : والذي تقوى في معنى { ثُمَّ اهْتَدَى } أن يكون ثم حفظ معتقداته من أن يخالف الحق في شيء من الأشياء ، فإن الاهتداء على هذا الوجه غير الإيمان وغير العمل . وقال الزمخشري : الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ، ونحوه : { إِنَّ السَّادِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمر ، وأعني أن منزلة الاستقامة على الخبر مباينة لمنزلة الخبر نفسه لأنها أعلى منه وأفضل . .

{ وَمَا أَجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَى أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبُّ لِيَتَرْضَى * قَالَ فَإِنِّي نَسَا قَدُ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ * قَوْمِ * أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَاءَ حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيَّكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيَّكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا } . .

لما نهض موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى جانب الطور الأيمن حيث كان الموعد أن يكلمه موسى بما فيه شرف العاجل والآجل ، رأى على وجه الاجتهاد أن يقدم وحده مبادراً إلى أمره وحرصاً على القرب منه وشوقاً إلى مناجاته ، واستخلف هارون على بني إسرائيل وقال لهم موسى : تسيرون إلى جانب الطور فلما انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه ، زاده في الأجل عشراً وحينئذ وقفه على استعجاله دون القوم ليخبره موسى أنهم على الأثر فيقع الإعلام له بما صنعوا { وَمَا } استفهام أي شيء عجل بك عنهم . قال الزمخشري : وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وينجز ما وعد به بناء على اجتهاده ، وطن أن ذلك أقرب إلى رضا الله ، وزال عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله إلا نظراً إلى دواعي الحكمة وعلماً بالمصالح المتعلقة بكل وقت ، فالمراد بالقوم النقباء

انتهى . .

والظاهر أن قوله عز وجل { عَن قَوْمِكَ } يريد به جميع بني إسرائيل كما قد بيّنا قبل لا السبعين . وقال الزمخشري : وليس يقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح ما يباه قوله { هُمْ أُولَءِ عِلَى أَثَرِي } انتهى . { وَمَا أَعْجَلَكَ } سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله { هُمْ أُولَءِ عِلَى أَثَرِي وَأَعْجَلَتْهُ إِيَّاكَ رَبُّ لِيَتَرَضَى } لأن قوله { وَمَا أَعْجَلَكَ } تضمن تأخر قومه عنه ، فأجاب مشيراً إليهم لقربهم منه إنهم على أثره جائين